

## نفحات القرآن

[157] الرَّحْمَنُ مِنْ تَفَاوُتٍ ) . إِنَّ هَذَا الْعَالَمَ الْوَاسِعَ بِكُلِّ مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ عِظْمَةٍ فَهُوَ مُتَنَاسِقٌ وَمُنْسَجِمٌ وَمُتْرَابِطٌ وَمُتَّحِدٌ وَمُنظَّمٌ ، وَإِنَّ وُجُودَ الْإِخْتِلَافِ فِي اللَّوْنِ وَالشَّكْلِ وَالْوِزْنِ وَسَائِرِ الْكَيْفِيَّاتِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ أَوْ الْكَمِّيَّةِ أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ جَدًّا ، وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَا وَجُودَ لَهُ هُوَ اللَّاتِنَاسِقُ وَاللَّانِظَامُ وَالْإِخْتِلَالُ . وَلِذَا تَقُولُ الْآيَةُ فِي ذَيْلِهَا ( فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ) وَالْمُرَادُ مِنْ ( فَارْجِعِ الْبَصَرَ ) هُوَ النَّظْرَ الدَّقِيقَ وَالْعَمِيقَ ، وَالْمَخَاطَبُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَإِنْ كَانَ هُوَ النَّبِيُّ ( صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ) وَلَكِنْ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْمُرَادَ هُمُ الْبَشَرُ جَمِيعًا ، وَتَضْيِفُ الْآيَةُ : ( ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَى ذَاكَ الْبَصَرِ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ) (1) . بِهَذَا يَقُومُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَبِتَعَابِيرٍ مُخْتَلِفَةٍ بِدَعْوَةِ الْبَشَرِ إِلَى النَّظْرِ فِي عَالَمِ الْوُجُودِ وَلَا يَكْتَفِي بِالِدَعْوَةِ بَلْ يَرْغِبُهُمْ وَيُحَرِّسُهُمْ وَيُحَرِّضُهُمْ عَلَى هَذَا الْعَمَلِ ، كَيْ يَعْلَمُوا أَنَّ هُمْ لَا يَجِدُونَ خِلَافًا أَوْ نَقْصًا فِيهِ ، وَعِنْدَمَا لَا يَرُونَ ذَلِكَ فَسَوْفَ يَتَعَرَّبُونَ عَلَى حَقِيقَةِ تَوْحِيدِ الْمَبْدَأِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ وَيُرَدُّونَ جُمْلَةً ( لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ) قَلْبًا وَلِسَانًا . هُنَاكَ نَقْطَةٌ جَدِيدَةٌ بِالْإِهْتِمَامِ وَهِيَ أَنَّ ( نَفْيَ الْإِخْتِلَافِ ) مِنْ بَيْنِ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْعَالَمِ وَالَّذِي وَرَدَ فِي الْآيَةِ أَعْلَاهُ يَعْنِي حَسَبَ إِعْتِقَادِ الْبَعْضِ : نَفْيَ الْعَيْبِ وَالنَّقْصِ ، وَقَدْ فَسَّرَهُ بَعْضُ بَمَعْنَى نَفْيِ عَدَمِ الْإِنْجَامِ ، وَبَعْضُ بِنَفْيِ الْإِضْطِرَابِ وَالْتِزَعُّعِ ، وَبَعْضُ بِنَفْيِ الْإِعْجَاجِ ، وَبَعْضُ بِنَفْيِ التَّنَاقُضِ ، فِي حِينِ أَنَّ الْآيَةَ لَهَا مَفْهُومٌ وَاسِعٌ يَشْمَلُ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي ( هَذِهِ الْمَفْرَدَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ (فوت) لِأَنَّ التَّفَاوُتَيْنِ يَفْقَدُ كُلُّ مَنَهُمَا الصِّفَاتِ الْمُخْتَصَّةَ بِالْآخِرِ ) .

---

1 - ( ارْجِعِ الْبَصَرَ ) كِنَايَةٌ عَنِ النَّظْرِ الْمُتَكَرِّرِ وَالْمَقْرُونِ بِالِدَقَّةِ وَالْإِهْتِمَامِ ، وَ ( خَاسِئًا ) مِنْ ( خَسَاءً ) وَيَعْنِي الْانْقِبَاضَ وَالْإِنْغْلَاقَ الْمَقْرُونِ بِالذَّلَّةِ وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَا كِنَايَةٌ عَنِ الْحَرَمَانِ وَالْفِشْلِ ، وَ ( حَسِيرٌ ) فِي ( حَسْرٍ ) وَيَعْنِي الضَّعْفَ وَإِفْتِقَادَ الْقُدْرَةِ وَتَعْنِي فِي الْأَصْلِ : الْإِحْتِفَاءَ ، وَبِمَا أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا ضَعْفَ فَإِنَّهُ يَتَجَرَّدُ عَنِ قُدْرَتِهِ وَطَاقَتِهِ اسْتَعْمَلَ هَذَا اللَّفْظَ بِمَعْنَى الضَّعْفِ .